

سورة مريم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (4)

شرح الكلمات:

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ } ضَعُفَ

{ الْعَظْمُ } جَمِيعُهُ

{ مِنِّي وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ } مِنِّي

{ شَيْبًا } تَمَيَّزَ مُحْوَلٌ عَنِ الْفَاعِلِ أَيِ انْتَشَرَ الشَّيْبُ فِي شَعْرِهِ كَمَا

يَنْتَشِرُ شُعَاعُ النَّارِ فِي الْحَطَبِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوكَ

{ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ } أَيِ بِدُعَائِي إِيَّاكَ

{ رَبِّ شَقِيًّا } أَيِ خَائِبًا فِيمَا مَضَى فَلَا تُخَيِّبْنِي فِيمَا بَاقِي

المعنى الإجمالي :

أن الله تعالى اجتنب واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربه والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، ونداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، فقال: { رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي } أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن،

ضعف غيره، { وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

{ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } أي: لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي محفيا، ولم تزل أطفاك تتوالى علي، وإحسانك واصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتم إحسانه لاحقا.

وأنت قد تدعو الله لأمر تحبه، فإذا لم يأت ما تحبه ولم تحب حزنك وكأنك شقيت بدعائك، وقد يكون شقاء كذب، لأنك لا تدري الحكمة من المنع وعدم الإجابة، لا تدري أن الله تعالى يتحكم في تصرفاتك.

ورما دعوت بأمر تراه الخير من وجهة نظرك وفي علم الله أنه لا خَيْرَ لك فيه، فمنعه عنك وعدل لك ما أخطأت فيه من تقدير الخير، فأعطاك ربك من حيث ترى أنه منعه، وأحسن إليك من حيث ترى أنه حرملك، لأنك طلبت الخير من حيث تعلم أنت أنه خير ومنع الله من حيث يعلم أن الخير ليس في ذلك.

شروط الدعاء وأسباب الإجابة:

الأول : دعاء الله وحده لا شريك له بصدق وإخلاص ، لأن الدعاء عبادة قال تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } { غافر: 60 } .

الثاني : ألا يدعو المرء بإثم أو قطيعة رحم ، لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ،

ما لم يستعجل ، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت ، وقد دعوت فلم أر يستجاب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء .

الثالث : أن يدعو بقلب حاضر ، موقن بالإجابة ، لما رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه

أسباب الإجابة فهي :

الأول : افتتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختمه بذلك .

الثاني : رفع اليدين .

الثالث : عدم التردد ، بل ينبغي للداعي أن يعزم على الله ويلج عليه .

الرابع : تحري أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل ، وبين الأذان والإقامة ، وعند الإفطار من الصيام ، وغير ذلك .

الخامس : أكل الطيبات واجتناب المحرمات .

التوسل المشروع يكون بواحد من أمور ثلاثة :

الأول : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته .

الثاني : التوسل إليه بالعمل الصالح .

الثالث : التوسل بدعاء الصالح الحي .

فائدة :

يلمح من الآية (ألم أكن بدعائك رب شقياً) الاعتراف بنعمة الله تعالى والشكر عليها حيث أن الله تعالى استجاب له حال قوته وشبابه فهو يطمع بهذا المتفضل أن يجيب دعائه ويتفضل عليه مرة أخرى لحاجته للولد..

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (325)



قَوْلُهُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْإِسْرَاءِ 4

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

8- وقد كرم النبي صلى الله عليه وسلم الشيب حيث قال : " من شاب شيبه في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة " رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

9- وهن العظم واشتعال الرأس شيئا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه .

10- يكون الشيب نورا لصاحبه المسلم في يوم القيامة ، كما صحت بذلك الأحاديث ، ففي سنن الترمذي (1634)
عن كَعْبُ بْنُ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . صححه الألباني في صحيح الترمذي .

11- زكريا عليه السلام خرج من حوله وقوته وأظهر ضعفه وذلك وفقهه لله عز وجل وهذا من آداب الدعاء .

12- يعلمنا زكريا عليه السلام حسن الظن بالله تعالى ، وأنتك يارب عودتي على إجابة دعائي ، ، وأنا أتوقع الإجابة ثم بعد ذلك نشرع في الدعاء .

13- انه قد بلغ بأقصى حالات العجز الإنساني من كبر السن التي يعتمد الجسم في غذائه على العظم وهذا سبب الوهن ، فالإنسان لا يئأس من روح الله ، ويدعو الله بحاجته ويلجأ بها والله كفيل بتحقيقها ، فالله لا يعجزه شيئا .

14- على الإنسان أن يجتهد بإكثار النسل وطلب الولد الصالح ولو كان متقدماً في السن .

15- الإلحاح إلى الله وحده حال الضيق والاضطرار . فلا يلجأ إلى البشر ولا يوسط أحد بينه وبين الله تعالى فيدعوه بلا واسطة وبلا تكلف . وهذا من خصائص العقيدة الإسلامية البساطة والوضوح فلا واسطة بين العبد وربّه .

والله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- استجاب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة .
2- (وَهَنَ الْعَظْمُ) ، أي ضعف ، وهن العظم دليل على وهن الجسم كله ؛ لأنه عمود الدين وبه قوامه ، وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقط سائر قوته ؛ ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن منه .

3- اشتعال الرأس بالشيب أيضاً دليل على ضعف الجسم وَهْنٌ قُوَّتُهُ ؛ لأن الشعر يكتسب لونه من مادة مُلَوَّنَةٌ سوداء أو حمراء أو صفراء توجد في بُصَيِّلَةِ الشعرة ، وتُمدُّ الشعرة بهذا اللون ، وضغف الجسم يُضعف هذه المادة تدريجياً ، حتى تختفي ، وبالتالي تخرج الشعرة بيضاء ، والبياض ليس لوناً ، إنما البياض عدم اللون نتيجة ضغف الجسم وضغف الغُدَّة التي تفرز هذا اللون .

4- التعبير بكلمة " اشتعل " تعبير بلاغي يلفت النظر إلى المشاق والصعوبات التي لاقاها في عمره الطويل ، كما توحى أيضاً بسرعة الشيب في رأسه

إن تشبيه آثار الكبر بالشعلة التي عمت كل الرأس تشبيه جميل ، لأن خاصية شعلة النار أنها تتسع بسرعة ، وتلتهم كل ما يحيط بها .

5- الشقاوة خلاف السعادة ، وكأن المراد بها الحرمان من الخير فهو يقول لقد عودتني دائماً . فيما مضى . على استجابة أذعيتي ، ولم تحرمني منها أبداً ، والآن وقد أصبحت كبيراً وعاجزاً فأجلدني أحوج من السابق إلى أن تستجيب دعائي ولا تحييني .

6- الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجل شيبه في الإسلام إلا كانت له بكل شيبه حسنة ، و رفع بها درجةأخرجه البيهقي

في الشعب - انظر الصحيحة . 1243

7- الشيب نور المسلم : الاضافة للاختصاص ، أي أن وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات والفتور .